بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة ام القرى

مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية

قسم المخطوطات

بداية المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

الحمد لله الأول الآخر • الظاهر الباطن • الذي هو بكل شيء عليم • الأول فليس قبله شيء •
الآخر فليس بعده شيء • الظاهر فليس فوقه شيء • الباطن فليس دونه شيء • الأزلي
القديم • الذي لم يزل موجودا موصوفا بصفات الكمال • ولا يزال دايما مستمرا باقيا سرمديا
بلا انفصال ولا زوال • يعلم دبيب النملة على الصخرة في الليلة الظلماء وعدد الرمال • وهو العلي
الكبير المتعال • العلي العظيم • الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا • فرفع السماء بغير عمد وزينها
بالكواكب الزاهرات • وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا • وسوى فوقهن سريرا • شرجعا
عاليا منيفا متسعا مقبيا مستديرا • هو العرش العظيم • له قوايم عظام • تحمله الملايكة
الكرام • وتحفه الكروبيون عليهم أفضل الصلاة والسلام • ولهم زجل بالتقديس
والتعظيم • وكذا أرجاء السموات مشحونة بالملايكة ويفد منهم كل يوم سبعون ألفا إلى
البيت المعمور بالسماء السابعة لا يعودون إليه آخر ما عليهم في تهليل وتحميد وتكبير
وصلاة وتسليم • ووضع الأرض للأنام على تيار الماء • وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام قبل خلق السماء • وأنبت فيها من كل زوجين
اثنين دلالة للألباء • من جميع ما يحتاج العباد إليه في شتائهم وصيفهم • ولكل ما يحتاجون
إليه ويملكونه من حيوان بهيم • وبدأ خلق الإنسان من طين • وجعل نسله من سلالة
من ماء مهين في قرار مكين • فجعله سميعا بصيرا • بعد أن لم يكن شيئا مذكورا • وشرفه
بالعلم والتعليم • خلق بيده الكريمة آدم أبا البشر فصوره ونفخ فيه من روحه • وأسجد له
ملايكته • وخلق منه زوجه حوا أم البشر • فآنس بها وحدته وأسكنهما جنته • وأسبغ عليهما
نعمته • ثم أهبطهما إلى الأرض لما سبق من ذلك من حكمة الحكيم • وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء • وقسمهم بقدرة العظيم • ملوكا ورعايا • وفقراء وأغنياء وأحرارا وعبيدا • وحراير
وإماء • وأسكنهم أرجاء الأرض طولها والعرض • وجعلهم خلفاء فيها يخلف البعض البعض • إلى
يوم الحساب والعرض • على الحكيم العليم • وسخر لهم الأنهار من ساير الأقطار • تشق الأقاليم إلى
الأمصار • ما بين صغار وكبار • على مقدار الحاجة والأوطار • وأنبع لهم العيون والآبار • وأرسل
عليهم السحاب بالأمطار • فأنبت لهم ساير صنوف الزروع والثمار • وآتاهم من كل ما سألوه
بلسان حالهم وقالهم وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار •
فسبحان الكريم العظيم الحليم • وكان من أعظم نعمه عليهم •
وإحسانه إليهم • بعد أن خلقهم ورزقهم • ويسرهم السبل

وانظمتهم

وانظمتهم أن أرسل رسله إليهم وأنزل كتبه عليهم مبينة حلاله وحرامه • وأخباره
وأحكامه • وتفصيل كل شيء في المبدأ والمعاد يوم القيمة فالسعيد من قابل الأخبار
بالتصديق والتسليم والأوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم ففاز بالنعيم المقيم
وزحزح عن مقام المكذبين في الجحيم ذات الزقوم والحميم والعذاب الأليم
أحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه يملأ أرجاء السموات
والأرضين دايما أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين في كل ساعة وآن ووقت
وحين كما ينبغي لجلاله العظيم وسلطانه القديم ووجهه الكريم **وأشهد**
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا نظير
له ولا وزير له ولا مشير له ولا عديد ولا نديد ولا قسيم **وأشهد** أن محمدا عبده
ورسوله وحبيبه وخليله المصطفى من خلاصة العرب العرباء من الصميم خاتم الأنبيا
وصاحب الحوض الأكبر الرواء صاحب الشفاعة العظمى يوم القيمة وحامل اللواء الذي
يبعثه الله المقام المحمود الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم حتى الخليل إبراهيم صلى الله عليه وعلى ساير
إخوانه من النبيين والمرسلين وسلم وشرف وكرم أزكى صلوة وتسليم وأعلى تشريف وتكريم
ورضي الله عن جميع أصحابه الغر الكرام السادة النجباء الأعلام خلاصة العالم بعد الأنبياء ما اختلط
الظلام بالضياء • وما أعلن الداعي بالنداء • وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم **أما بعد**
فهذا الكتاب أذكر فيه بعون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر
مبدأ المخلوقات من خلق العرش والكرسي والسموات والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملايكة
والجان والشياطين وكيفية خلق آدم عليه السلام وقصص النبيين وما جرى مجرى ذلك إلى
أيام بني إسرايل وأيام الجاهلية حتى تنتهي النوبة إلى أيام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه
فنذكر سيرته كما ينبغي فتشتفي الصدور والغليل وتزيح الداء عن العليل ثم نذكر
ما بعد ذلك إلى زماننا ونذكر الفتن والملاحم وأشراط الساعة ثم البعث والنشور وأهوال
القيمة ثم صفة ذلك وما في ذلك اليوم وما يقع فيه من الأمور الهايلة ثم صفة النار ثم صفة
الجنان وما فيها من الخيرات الحسان وغير ذلك وما يتعلق به وما ورد في ذلك من الكتاب
والسنة والآثار والأخبار المنقولة المقبولة عند العلماء وورثة الأنبياء الآخذين من
مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام ولسنا نذكر
من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا أو تسمية

والملاحم جمع الملحمة الوقعة العظيمة في الفتنة صحاح

لمبهم ورد به شرعنا مما لا فايدة في تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل
الاحتياج اليه والاعتماد عليه وانما العمدة والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم مما صح نقله او حسن وما كان فيه ضعف نبينه عليه وبالله المستعان وعليه التكلان
ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم فقد قال الله تعالى في كتابه كذلك نقص
عليك من انباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا وقد قص الله على نبيه صلى الله عليه
وسلم خبر ما مضى من خلق المخلوقات وذكر الامم الماضين وكيف فعل باوليائه وما
ذا احل باعدائه وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بيانا شافيا سنورد عند
كل فصل ما وصل الينا منه صلوات الله وسلامه عليه في ذلك تلو الآيات الواردات في ذلك
فاخبرنا بما يحتاج اليه من ذلك وترك ما لا فايدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويتراجم في فهمه
طوايف من علما اهل الكتاب مما لا فايدة لكثير من الناس اليه وقد يستوعب نقله طايفه
من علمائنا ولسنا نحذو حذوهم ولا ننحو نحوهم ولا نذكر منها الا القليل على ايضاً
سبيل الاختصار ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا مما خالفه فوقع فيه الانكار فاما الحديث
الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وحدثوا عني ولا
تكذبوا علي ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار فهو محمول على الاسرائيليات
المسكوت عنها عندنا فليس عندنا ما يصدقها ولا يكذبها فيجوز روايتها للاعتبار وهذا
هو الذي نستعمله في كتابنا هذا منها فاما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا اليه
استغنا بما عندنا وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود ولا يجوز حكايته الا على سبيل
الانكار والابطال فاذا كان الله سبحانه وله الحمد قد اغنانا برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
عن ساير الشرايع وبكتابه عن ساير الكتب فلسنا نترامى على ما بايديهم مما وقع فيه
خبط وغلط وكذب ووضع وتحريف وتبديل وبعد ذلك كله نسخ وتغيير فالمحتاج
اليه قد بينه لنا رسولنا وشرحه واوضحه عرفه من عرفه وجهله من جهله كما قال
علي ابن ابي طالب كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس
بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وقال ابو ذر رضي الله
لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طاير يطير بجناحيه الا ذكرنا منه علما
وقال البخاري في كتاب بدء الخلق وروي عن عيسى بن موسى غنجار عن رقبة عن قيس
ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قام فينا رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم
حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه قال ابو مسعود الدمشقي في اطرافه هكذا
قال البخاري وانما رواه عيسى غنجار عن ابي حمزة عن رقبة وقال الامام احمد بن حنبل
رحمه الله في مسنده ثنا ابو عاصم ثنا عزرة بن ثابت ثنا علبا بن احمد اليشكري ثنا ابو زيد الانصاري
بنا قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم
نزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطبنا
حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن فاعلمنا احفظنا انفرد باخراجه مسلم فرواه
في كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي وحجاج بن الشاعر كلاهما عن
ابي عاصم الضحاك بن مخلد النبيلي عن عزرة عن علبا عن ابي زيد عمرو بن اخطب بن رفاعة
الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال الامام احمد ثنا يزيد
ابن هرون وعفان قالا ثنا حماد بن سلمة انا علي بن زيد عن ابي سعيد قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطبة بعد العصر الى مغيربان الشمس حفظها من حفظها ونسيها من نسيها قال
عفان قال حماد واكبر حفظي انه قال بما هو كاين الى يوم القيمة فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما
بعد فان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الا فاتقوا الدنيا واتقوا
النسا وذكر تمام الخطبة الى ان قال فلما كان عند مغيربان الشمس قال الا ان مثل ما بقي من
الدنيا مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ثم قال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن علي
ابن زيد بن جدعان عن ابي نضرة عن ابي سعيد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ذات
يوم بنهار ثم قام فخطبنا الى ان غابت الشمس فلم يدع شيا مما يكون الى يوم القيمة الا حدثناه حفظ
ذلك من حفظه ونسي ذلك من نسيه فكان مما قال يا ايها الناس ان الدنيا خضرة حلوة وان الله
مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النسا وذكر تمامها الى ان قال ثم دنت الشمس
ان تغرب فقال وانما بقي من الدنيا فيما مضى مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وهذا هو المحفوظ
والله اعلم

فصل

قال الله تعالى في كتابه العزيز الله خالق كل شي وهو على كل شي
وكيل فكل ما سواه تعالى مخلوق له مربوب مدبر مكون بعد ان لم يكن محدث بعد عدمه فالعرش
الذي هو سقف المخلوقات الى ما تحت الثرى وما بين ذلك من جامد وناطق الجميع خلقه وملكه وعبيده
وتحت قهره وقدرته وتحت تصريفه ومشيته خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله
بما تعملون بصير وقد اجمع علما الاسلام قاطبة لا يشك في ذلك مسلم ان الله خلق السموات والارض

ومابينهما في ستة ايام كما دل عليه القران العظيم واختلفوا في هذه الايام اهي كايامنا هذه
او كل يوم كالف سنة مما تعدون على قولين كما بينا ذلك في التفسير وسنتعرض لايراده في
موضعه واختلفوا هل كان قبل السموات والارض شي مخلوق قبلهما فذهب طوايف من المتكلمين
الى انه لم يكن قبلهما شي وانهما خلقتا من العدم المحض وقال اخرون بل كان قبل السموات
والارض مخلوقات اخر لقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان
عرشه على الماء الاية وفي حديث عمران بن حصين كما سياتي كان الله ولم يكن شي قبله وكان عرشه
على الما وكتب في الذكر كل شي ثم خلق السموات والارض وقال الامام احمد ثنا بهز ثنا حماد بن
سلمة انا يعلى بن عطا عن وكيع بن حدس عن عمه ابي رزين لقيط بن عامر العقيلي انه قال يا رسول الله
اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال في عما ما فوقه هوا وما تحته هوا
ثم خلق عرشه على الما ورواه عن يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة به ولفظه اين كان ربنا قبل ان
يخلق خلقه وباقيه سوا واخرجه الترمذي عن احمد بن منيع وابن ماجة عن ابي بكر بن ابي شيبة
ومحمد بن الصباح ثلاثتهم عن يزيد بن هرون وقال الترمذي حسن واختلف هولا في ايهما خلق
اولا فقال قايلون خلق القلم قبل هذه الاشيا كلها وهذا هو اختيار ابن جرير وابن الجوزي
وغيرهما قال ابن جرير وبعد القلم السحاب الرقيق وبعده العرش واحتجوا بالحديث الذي رواه
الامام احمد وابو داود والترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كاين الى
يوم القيمة لفظ احمد وقال الترمذي حسن صحيح غريب والذي عليه الجمهور فيما نقله الحافظ
ابو العلا الهمداني وغيره ان العرش مخلوق قبل ذلك وهذا هو الذي رواه ابن جرير من طريق
الضحاك عن ابن عباس كما دل ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه حيث قال حدثني ابو
الطاهر احمد بن عمرو بن السرح ثنا ابن وهب اخبرني ابو هاني الخولاني عن ابي عبد الرحمن الحبلي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير
الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الما قالوا فهذا التقدير
هو كتابته بالقلم المقادير وقد دل هذا الحديث ان ذلك بعد خلق العرش فثبت تقدم العرش
على القلم الذي كتب به المقادير كما ذهب الى ذلك الجماهير ويحمل حديث القلم على انه اول
المخلوقات من هذا العالم ويويد هذا ما رواه البخاري عن عمران بن حصين قال قال اهل اليمن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم جيناك لنتفقه في الدين ولنسالك عن اول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن
شي قبله وفي رواية معه وفي رواية غيره وكان عرشه على الما وكتب في الذكر كل شي وخلق السموات

والارض

والارض وفي لفظ ثم خلق السموات والارض فسالوه عن ابتدا خلق السموات والارض
ولهذا قالوا جيناك نسالك عن اول هذا الامر فاجابهم عما سالوا فقط ولهذا
لم يخبرهم بخلق العرش كما قد اخبر به في حديث ابي رزين المتقدم قال ابن جرير وقال
اخرون بل خلق الله الما قبل العرش رواه السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن
مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان الله كان عرشه
على الما ولم يخلق شيا غير ما خلق قبل الما وحكى ابن جرير عن محمد بن اسحق انه قال
اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما وجعل النور
نهارا مبصرا قال ابن جرير وقد قيل ان الذي خلق ربنا بعد القلم الكرسي
ثم خلق بعد الكرسي العرش ثم بعد ذلك خلق الهوا والظلمة ثم خلق الما فوضع عرشه
على الما

فصل فيما ورد في صفة خلق العرش والكرسي

قال الله
تعالى رفيع الدرجات ذو العرش وقال فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم
وقال الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وقال وهو الغفور الودود ذو العرش
المجيد وقال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال ثم استوى على العرش في غير ما
اية من القران وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون
به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما وقال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم
يوميذ ثمانية وقال تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم و~~يسبحون~~ بالحق
وقيل الحمد لله رب العالمين وفي الدعا المروي في الصحيح في دعا الكرب لا اله الا الله الحليم العظيم
لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارضين رب العرش الكريم
وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا يحيى بن العلا عن عمه شعيب بن خالد حدثني سماك
بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن عباس بن عبد المطلب قال كنا جلوسا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالبطحا فمرت سحابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قال قلنا
السحاب قال والمزن قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السما والارض
قال قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسماية سنة وفوق السما السابعة بحر بين اسفله
واعلاه كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض
ثم فوق ذلك العرش بين اسفله واعلاه كما بين السما والارض والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من
اعمال بني ادم شي هذا لفظ الامام احمد ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجة من حديث سماك
باسناده نحوه وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك

قبل عبادتهم العجل الذي هو متقدم على مجيئهم بيت المقدس وانها كانت لهم كالكعبة
يصلون فيها واليها ويتقربون عندها وان موسى عليه السلام كان اذا دخلها
يقفون حولها وينزل عمود الغمام على بابها فيخرون عند ذلك سجدا لله عز وجل
ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذي هو نور ويخاطبه ويناجيه
وينهاه وهو واقف عند التابوت صامد الى ما بين الكروبين فاذا فصل الخطاب
يخبر بني اسرايل بما اوحاه الله اليه من الاوامر والنواهي واذا تحاكموا اليه في شي
ليس عنده من الله فيه شي يجي الى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصمد
لما بين ذينك الكروبين فياتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة وقد
كان هذا مشروعا لهم في زمانهم اعني استعمال الذهب والحرير المصبغ واللالي
في معبدهم وعند مصلاهم فاما في شريعتنا فلا بل نهينا عن زخرفة المساجد
وتزيينها لئلا يشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للذي وكله على عمارته ابن للناس ما يكنهم
واياك ان تحمر او تصفر فيفتتن الناس وقال ابن عباس لنزخرفنها كما زخرفت
اليهود والنصارى كنايسهم وهذا من باب التشريف والتكريم والتنزيه لهذه
الامة عن مشابهة من كان قبلهم من الامم اذ جمع الله همهم في صلاتهم على التوجه
اليه والاقبال عليه وصان ابصارهم وخواطرهم عن الاشتغال والتفكر في غير
ما هم بصدده من العبادة العظيمة فلله الحمد والمنة ٥ وقد كانت قبة الزمان
هذه مع بني اسرايل في التيه يصلون اليها وهي قبلتهم وكعبتهم وامامهم كليم الله موسى
عليه السلام ومقدم القربان اخوه هرون عليه السلام فلما مات هرون ثم موسى
عليهما السلام استمرت بنو هرون في ما كان يليه ابوهم في امر القربان وهو فيهم الى الان
وقام باعباء النبوة بعد موسى وتدبير الامر بعده فتاه يوشع بن نون عليه السلام ثم
وهو الذي دخل بهم بيت المقدس كما سياتي بيانه والمقصود هنا انه لما استقرت
يده على البيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس وكانوا يصلون
اليها فلما بادت صلوا الى محلتها وهي الصخرة فلهذا كانت قبلة الانبياء
بعده الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه فلما هاجر
امر بالصلوة الى بيت المقدس فصلى اليها بستة عشر وقيل سبعة عشر شهرا

ثم

ثم حولت القبلة الى الكعبة وهي قبلة ابرهيم في شعبان سنة اثنين في
وقت صلوة العصر وقيل الظهر كما بسطنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى
سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها الى قوله قد نرى
تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر
المسجد الحرام الايات

قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من
الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح
ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب
المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من
القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره
الارض فما كان له من فية ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين
تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ٥ قال الاعمش
عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان قارون ابن عم موسى
وكذا قال ابرهيم النخعي وعبد الله بن الحرث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة
ومالك بن دينار وابن جريج وزاد فقال هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران
بن قاهث قال ابن جرير وهذا قول اكثر اهل العلم انه كان ابن عم موسى ورد
قول ابن اسحق انه كان عم موسى ٥ قال قتادة وكان يسمى المنور
لحسن صوته بالتورية ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فاهلكه البغي
لكثرة ماله وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه وقد
ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى ان مفاتحه لكان يثقل حملها على القيام من

الرجال الشداد وقد قيل انها كانت من الجلود وانها كانت تحمل على ستين بغلاً
فالله اعلم ۝ وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين لا تفرح اي لا تبطر بما
اعطيت وتفخر على غيرك ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة
يقولون ليكن همتك مصروفة الى تحصيل ثواب الله في الدار الاخرة فانه خير
وابقى ومع هذا لا تنس نصيبك من الدنيا اي وتناول منها بمالك ما احل الله لك
فتمتع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال واحسن كما احسن الله اليك اي احسن الى
خلق الله كما احسن الله خالقهم وباريهم اليك ولا تبغ الفساد في الارض اي ولا
ولا تبغي اليهم ولا تفسد فيهم وتعاملهم ضد ما امرت فيهم فيعاقبك ويسلبك
ما وهبك ان الله لا يحب المفسدين فما كان جوابه لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة
الا ان قال انما اوتيته على علم عندي يعني انا لا احتاج الى استعمال ما ذكرتم
ولا ما اليه اشرتم فان الله انما اعطاني هذا لعلمه اني استحقه واني اهل له
ولولا اني حبيب اليه وحظي عنده لما اعطاني ما اعطاني قال الله تعالى
رادا عليه فيما ذهب اليه اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو
اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون اي قد اهلكنا من الامم
الماضين بذنوبهم وخطاياهم من هو اشد من قارون قوة واكثر اموالا واولادا
فلو كان ما قال صحيحا لم نعاقب احدا ممن كان اكثر مالا منه ولم يكن ماله
دليلا على محبتنا له واعتنائنا به كما قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا وقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به
من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وهذا الرد عليه يدل على صحة ما
ذهبنا اليه من معنى قوله انما اوتيته على علم عندي واما من زعم ان المراد من ذلك
انه كان يعرف صنعة الكيميا او انه كان يحفظ الاسم الاعظم فاستعمله في جمع
امواله فليس بصحيح لان الكيميا تخييل وصنعة لا تحيل الحقائق ولا تشبه صنعة
الخالق والاسم الاعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به وقارون كان كافرا في الباطن
منافقا في الظاهر ثم لا يصح جوابه لهم بهذا على هذا التقدير ولا يبقى بين
الكلامين تلازم وقد وضحنا هذا في كتابنا التفسير ولله الحمد ۝ قال الله
تعالى فخرج على قومه في زينته ذكر كثير من المفسرين انه خرج في تجمل عظيم من
ملابس ومراكب وخدم وحشم فلما راه من يعظم زهرة الحيوة الدنيا تمنوا ان لو كانوا

مثله

مثله وغبطوه بما عليه وله فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد
الالباء قالوا لهم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا اي ثواب الله في الدار
الاخرة خير وابقى واجل واعلى قال الله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون
اي وما يلقى هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمة السامية في الدار
الاخرة العلية عند النظر الى زهرة هذه الدنيا الدنية الا من هدى الله
قلبه وثبت فؤاده وايد لبه وحقق مراده وما احسن ما قال بعض
السلف ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول
الشهوات قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه
من دون الله وما كان من المنتصرين لما ذكر تعالى خروجه في زينته واختياله
فيها وفخره على قومه قال فخسفنا به وبداره الارض كما روى البخاري
من حديث الزهري عن سالم عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل
يجر ازاره اذ خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة ۝ ثم رواه البخاري
من حديث جرير بن زيد عن سالم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ۝
وقد ذكر عن ابن عباس والسدي ان قارون اعطى امراة بغيا مالا على ان تقول
لموسى عليه السلام وهو في ملأ من الناس انك فعلت بي كذا وكذا فيقال انها قالت
له ذلك فارعد من الفرق وصلى ركعتين ثم اقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك
وما حملك عليه فذكرت ان قارون هو الذي حملها على ذلك واستغفرت الله
وتابت اليه فعند ذلك خر موسى لله ساجدا ودعا الله على قارون فاوحى الله اليه
اني قد امرت الارض ان تطيعك فيه فامر موسى الارض ان تبتلعه وداره فكان ذلك
فالله اعلم ۝ وقد قيل ان قارون لما خرج على قومه في زينته مر
بجحفله وبغاله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكر قومه بايام
الله فلما راه الناس انصرفت وجوه كثير من الناس اليه ينظرون اليه فدعاه
موسى عليه السلام فقال له ما حملك على هذا فقال يا موسى اما لئن كنت
فضلت علي بالنبوة فلقد فضلت عليك بالمال ولئن شئت لتخرجن فلتدعون
علي ولادعون عليك فخرج وخرج قارون في قومه فقال له موسى تدعو او
ادعو قال ادعوا انا فدعا قارون فلم يجب في شيء فقال موسى ادعو
قال نعم فقال موسى اللهم مر الارض فلتطعني اليوم فاوحى الله اليه اني قد فعلت

فقال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى اقدامهم ثم قال خذيهم فاخذتهم الى ركبهم
ثم الى مناكبهم ثم قال اقبلي بكنوزهم واموالهم فاقبلت بها حتى نظروا اليها
ثم اشار موسى بيده فقال اذهبوا بني لاوي فاستوت بهم الارض وقد روي
عن قتادة انه قال تخسف بهم كل يوم قامة الى يوم القيمة وعن ابن عباس انه قال
خسف بهم الى الارض السابعة وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا اسرائيليات كثيرة
اضربنا عنها صفحا وتركناها قصدا وقوله تعالى فما كان له من فئة ينصرونه من
دون الله وما كان من المنتصرين لم يكن له ناصر من نفسه ولا من غيره كما قال فما له
من قوة ولا ناصر ۝ ولما حل به ما حل به من الخسف وذهاب الاموال وخراب
الدار وهلاك النفس والاهل والعقار ندم من كان يتمنى مثل ما اوتي وشكروا الله تعالى
الذي يدبر عباده بما يشاء من حسن التدبير المخزون ولهذا قالوا لولا ان
من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون وقد تكلمنا على لفظة ويك في التفسير
وقد قال قتادة ويكأن بمعنى الم تر ان وهذا قول حسن من حيث المعنى
والله اعلم ۝ ثم اخبر تعالى ان الدار الاخرة وهي دار القرار والدار التي يغبط
من يعطيها ويعزى من حرمها انما هي معدة للذين لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا فالعلو التكبر والفخر والاشر والبطر والفساد وهو عمل المعاصي
اللازمة والمتعدية من اخذ اموال الناس وافساد معايشهم والاساءة اليهم وعدم
النصح لهم ثم قال تعالى والعاقبة للمتقين وقصة قارون هذه قد تكون قبل
خروجهم من مصر لقوله فخسفنا به وبداره الارض فان الدار ظاهرة في البنيان
وقد تكون بعد ذلك في التيه وتكون الدار عبارة عن المحلة التي تضرب فيها
الخيام كما قال عنترة ۝

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجِوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي ۝

والله اعلم ۝ وقد ذكر الله مذمة قارون في غير ما اية من القرآن
قال الله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب وقال تعالى في سورة العنكبوت بعد ذكر
عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله

اليها

ليظلمهم

لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ فالذي خسف الله به الأرض قارون كما تقدم والذي
أغرق فرعون وهامان وجنودهما انهم كانوا خاطئين ۝ وقد قال الامام احمد ثنا ابو عبد الرحمن
ثنا سعيد ثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه ذكر الصلوة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة
ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيمة مع قارون وفرعون
وهامان وأبي بن خلف انفرد به أحمد رحمه الله ۝ والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

تم الجلد الاول من البداية والنهاية من تاريخ ابن كثير

يتلوه في المجلد الثاني باب ذكر فضائل موسى عليه الصلوة والسلام وشمائله وصفاته ووفاته

وقف شيخ الاسلام السيد فيض الله افندي عفي عنه ولوالديه بشرط ان لا يخرج من المدرسة التي انشاها بقسطنطينية ١١١٢

نهاية المخطوطة

END